



المواقف السياسية للنخبة الجزائرية مع مطلع القرن 20.

The Political Stances of the Algerian Elite at the Dawn of the 20th Century.

د. بطراوي مصطفى

جامعة البليدة 2

betraouimus@gmail.com

ملخص:

شهد مطلع القرن العشرين في الجزائر انحصار وتراجع المقاومات الشعبية مع تبلور لمطالب الشباب الجزائري خاصة بعد سنة 1912 حيث بدأت مطالبهم وخطاباتهم تأخذ طابعا سياسيا من خلال رفض الإجراءات الاستثنائية المتعلقة بالتجنيد الاجباري مع المطالبة بالمساواة والادماج املا في تحسين الأوضاع العامة للجزائريين. وتندرج إشكالية هذا البحث ضمن المحور الأول للملتقى والذي يتمحور حول الخطاب السياسي الكلاسيكي والمبحث التاريخي في جزئه المرتبط بتمائلات الخطاب السياسي والحركة الثورية في الجزائر قبل الاستقلال. في البحث ضمن طبيعة الخطاب السياسي للنخبة الوطنية في مقارعتها للسلطات الاستعمارية الفرنسية خاصة عندما عبرت عن موقفها من التجنيد الاجباري. ومدى تأثيره على الخطاب السياسي الذي ستبناه الحركة الوطنية باتجاهاتها المختلفة فيما بعد.

الكلمات الدالة: الخطاب السياسي، التجنيد الاجباري، النخبة الجزائرية، الحرب العالمية الأولى، المطالب السياسية.

Abstract:

The beginning of the twentieth century in Algeria witnessed the decline and decline of popular resistance with the crystallization of the demands of the Algerian youth, especially after the year 1912, when their demands and discourses began to take a political character by rejecting the exceptional measures related to forced conscription while demanding equality and inclusion in the hope of improving the general conditions of Algerians.

The problem of this research falls within the first axis of the forum, which revolves around the classical political discourse and the historical study in its part related to the similarities of political discourse and the revolutionary movement in Algeria before independence. In research within the nature of the political discourse of the national elite in its opposition to the French colonial authorities

Especially when she expressed her position on forced conscription and the extent of its impact on the political discourse that the national movement will adopt in its various directions later on.

Keywords: Political discourse, forced conscription, the Algerian elite, World War I, political demands.



مقدمة

بدأ الخطاب السياسي للحركة الوطنية الجزائرية يتبلور تدريجياً مع المحاولات الأولى لحمد حمدان بن عثمان خوجة (1801-1871)، الذي قاد المقاومة السياسية في الجزائر منذ اللحظات الأولى للغزو الفرنسي عام 1830. فقد كان خوجة، الملقب بـ "أمير الشهداء"، رائداً في صياغة خطاب يجمع بين الدعوة إلى الوحدة الوطنية والدفاع عن الهوية الإسلامية والعربية، من خلال مذكراته ونشراته السرية مثل "الرسالة الجزائرية" التي سلمها إلى السلطان العثماني، مطالباً بالمساعدة ضد الاستعمار الفرنسي. ومع ذلك، لم تظهر ثمار هذا النشاط السياسي المبكر إلا لاحقاً، مع مطلع القرن العشرين، خاصة بعد فشل المقاومات الشعبية المسلحة المتتالية، مثل ثورة عبد القادر (1832-1847) وانتفاضة المقراني (1871)، التي أثبتت حدود الصراع العسكري أمام التفوق الاستعماري الفرنسي.

في هذا السياق، بدأت تظهر الجمعيات والنوادي الثقافية كبدايات حديثة للنضال، مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث شكلت منصات للنقاش الفكري والسياسي. من أبرزها الجمعية الإسلامية الخيرية (تأسست 1890s)، ونادي العربي (1907)، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين لاحقاً، حيث أثرت نقاشات حول قضايا الهوية الوطنية، حقوق السكان الأصليين، والتمييز الاستعماري، مثل قانون الأهلية (1865) الذي حدّ من المواطنة الفرنسية. هذه المنتديات مثلت البدايات الأولى للخطاب السياسي المنظم الذي ستبناه الحركة الوطنية الجزائرية لاحقاً، معتمدة على مبادئ الإصلاح السلمي والتوعية الشعبية بدلاً من العنف المسلح وحده.

كما ساهمت هذه النوادي بشكل حاسم في ظهور الصحافة الوطنية، التي اعتُبرت منبراً رئيسياً لعرض الأفكار التحريرية وملتقى مختلف مكونات النخبة الوطنية، بما في ذلك المثقفين، التجار، والعلماء. جرائد مثل "العربي" (1906)، "اليقظة"، و"البصائر" (التي أسسها عبد الحميد بن باديس لاحقاً) سمحت بنشر مقالات تنتقد السياسات الاستعمارية، تدعو إلى التعليم بالعربية، وتعزز الوعي السياسي، ممهدة الطريق للنضال الوطني المنظم في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين.

1- بعض منصات الخطاب السياسي للنخبة الجزائرية:

أ- الصحافة:

لقد ساهمت الجمعيات والنوادي الثقافية في ظهور الصحافة الوطنية للتعبير عن آراء الشبان الجزائريين المتأثرين بالثقافة الفرنسية. مما ساهم في ظهور يقضه وطنية من خلال تتبع الأحداث العالمية بعدما استطاع الفرنسيون ان يطبقوا على المجتمع الجزائري ويجعلوه في عزلة تامة عما كان يجري يجري حولهم خاصة بعد ظهور أفكار عالمية جديدة افرزتها الحرب العالمية الأولى (احمد صاري، 2004، ص113).

اخذ الخطاب السياسي للشباب الجزائري يتشكل مع مطلع القرن 20 من خلال الصحافة الفرنسية التي طالما احتكرها المستوطنون. حيث يذر سعد الله انه كانت هناك صحيفتان حكوميتان. هما جريدة الاخبار التي تأسست سنة 1839. وكتنت تصدر باللغة الفرنسية ثم في سنة 1909 أصبحت تصدر باللغتين الفرنسية والعربية. اما الصحيفة الثانية فهي المبشر التي انشأت سنة 1847 وكانت تصدر باللغتين (أبو القاسم سعد الله، 1992، ص133).



لقد شارك الشبان الجزائريون في هذه الصحافة ايماناً منهم بالدور الذي يمكن ان تلعبه هذه الوسيلة الإعلامية في التعبير عن مطالبهم وتأثير ذلك على انشاء الصحافة الوطنية. مما نتج عنه بداية ظهور بعض الجرائد الوطنية مثل جريدة المصباح التي أصدرها الأخوة فخار في وهران عام 1904. وتصدر باللغتين، وجريدة الهلال التي صدرت في العاصمة سنة 1906 باللغتين كذلك. وكذا جريدة المسلم في قسنطينة سنة 1909 بالفرنسية (سعد الله، 1992، ص57). كما أصدر الشبان الجزائريون جريدة الرشيد في جيجل وكانت تصدر بالفرنسية سنة 1911. وجريدة الحق الوهراني سنة 1901 باللغتين (محفوظ قداش، 1981، ص75)

وقاموا كذلك بالتعبير عن مواقفهم من خلال تنظيم مبادرات مطلّبية بكتابة العرائض وارسال الوفود الى باريس وتنظيم المظاهرات التي صنفها محفوظ قداش ضمن خانة الضعيفة (أبو القاسم سعد الله، 1992، ص137).

ب- النوادي والجمعيات الثقافية:

يشير أبو القاسم سعد الله في حديثه عن نشاط النخبة وخطابها السياسي ما بين 1890/1914: "...كانت هناك عدد من هذه المراكز التي تؤدي وظيفة المدرسة وخلوة الأحاديث وملتقى اجتماعي للرياضة والإسعاف والكشافة ومقر النشاط السياسي". (احمد الخطيب، 1986، ص60)

وقد تبنت اول جمعية التي تأسست سنة 1901 وهي الرشيدية خطاباً سياسياً تمثل في التعريف بالثقافة الفرنسية وذلك لتسهيل دمجهم في المجتمع الفرنسي من خلال القاء الدروس والمحاضرات لتمكين التلاميذ من معرفة اللغة الفرنسية وتقدير الأفكار الفرنسية (Maurice poulard.1910.p335). وكانت هذه الجمعية تتكون من قدماء تلاميذ المدارس العربية/ الفرنسية لمدينة الجزائر. وقد اهتمت بإلقاء بعض المحاضرات باللغة العربية كذلك (الجمعي خمري، 2003، ص95).

وهناك جمعية التوفيقية التي ترأسها ابن التهامي وقد تأسست سنة 1908 بالإضافة الى الصادقية ونادي الترقى في عنابة والجمعية الأخوية في معسكر وغيرها. وقد تشكل بعضها حتى في الأرياف مثل جمعية التقدم الصهاري في تيزيوزو. وكان ندي صالح باي على سبيل المثال في قسنطينة يقوم بنشاط توعوي وبث لخطابه السياسي من خلال الدروس والمحاضرات التي كان يلقيها أعضائه.

حيث كان يضم حوالي 1700 عضو وضم حتى بعض الفرنسيين المتعاطفين (الجمعي خمري، 2003، ص103).

ج- التمثيل السياسي في المجالس المنتخبة:



كانت النخبة الجزائرية تدرك تماما مسألة تمثيل الأهالي المسلمين في المجالس المنتخبة والهيئات التنفيذية والقضائية، وتعتبرها الأساس الذي يجب أن ترد إليه جميع شؤون الدولة والمجتمع. فليس هناك بديلا عن التمثيل في المجالس المنتخبة التي تسيّر الشؤون العامة، وتبرر بصورة شرعية مؤسسات الدولة تبعا لذلك. لكن المسألة، لم تكن تتوفر على كامل الحجية اللازمة على اعتبار أن التمثيل يتم على قاعدة اللامساواة المطلقة التي تحفظ للأقلية الأوروبية جميع الصلاحيات والامتيازات، ويصون لها كافة الحقوق والحريات على حساب الأغلبية المسلمة التي لا تجد في هذه المجالس إلا القدر الزهيد من الحقوق المدنية بلا غطاء سياسي أو قانوني أو حتى عملي، ولعل السبب في ذلك أن التمثيل العادل كان دائما مقترنا لدى السلطة الاستعمارية بزوال الوجود الفرنسي ذاته. فالأسلوب الديمقراطي لإدارة الشأن العام لا يساعد السلطة الفرنسية على إمكانية استمرارها في الجزائر، فضلا على أنه يفضي إلى اكتساح الأهالي لجميع المجالس المنتخبة بناء على " قانون العدد."

في دراسته الرائدة حول المسألة الأهلية وتمثيل المسلمين في الهيئات المنتخبة (فكار بن علي، 1909. ص 5)، يرى السيد بن علي فكار (دكتور في القانون)، وهو أيضا من الذين جمعوا ما بين الثقافة الفرنسية والعربية، أن مسألة إدارة وتسيير الجزائريين تحفها جملة من التصورات الخاطئة. فرغم مرور قرابة ثمانية عقود على الوجود الفرنسي إلا أن رؤية الفرنسيين إلى المسلمين لازالت تلازمها الرؤية الدونية التي تضع الأهالي في خانة العاجزين وغير مؤهلين للانضباط في أطر سياسية، قانونية، وإدارية. وهذا بعيد تماما عن الواقع الذي يشير إلى أن الوضع تطور لصالح المسلمين وخاصة النخبة التي صارت تسير العصر الذي تعيش فيه، وعلى نفس النمط الفرنسي وتتطلع إلى ما هو أفضل. وأن حالتها النفسية والمعنوية منسجمة تماما مع الحداثة في كل مستوياتها. ولعل أبرز مثال على ذلك الأستاذ بن علي فكار نفسه الذي كان يدرس مادة العربية في المعهد العالي للتجارة في مدينة ليون.

2- تبلور الخطاب السياسي ضمن مواقف النخبة من بعض القضايا:

أ- موقفها من لجنة جول فيري:

مع نهاية القرن 19 وبالبضبط سنة 1892، وبعد تدهور أوضاع الجزائر. قامت السلطات الاستعمارية الفرنسية بإرسال وفد لدراسة مشروع تجنيس الجزائريين وهو الدور الذي ستضطلع به لجنة جول فيري لتقصي الحقائق والمعروفة بلجنة 18. والتي مكثت في الجزائر مدة 3 أشهر (Mahfoud kedache. 1981.p76).

لقد التقت هذه اللجنة بالعديد من الأعيان أمثال ابن العربي في العاصمة ومحمد بن رحال في تلمسان ووهران وغيرهم من مناطق مختلفة. وقد انتهز بعض عناصر النخبة الوطنية الفرصة وقاموا بتقديم عريضة مطالب عن طريق ابن العربي ورفيقه محمد بن رحال والتي تضمنت:

F ضرورة اعتماد العمل بالقضاء الإسلامي

F إلغاء الضرائب التعسفية

F إلغاء قانون الأهالي



F حق الجزائريين في المشاركة السياسية في الانتخابات المحلية

كما تطرق الوفد الى قضية التجنيس وكيفية تمثيل الأهالي في المجلس الشورى العمومي.

ب- موقفهم من التجنيد الاجباري 1912:

ان النزعة الاستعمارية التي طبعت السياسة الفرنسية خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين، ولدت لدى قادة الإمبراطورية الفرنسية الحاجة إلى توفير قوة عسكرية يقع على عاتقها أداء المهام التي تتطلبها المغامرات الاستعمارية داخل وخارج إفريقيا، وقد ظهر الحديث مبكرا عن مشاريع مختلفة تقضي باللجوء إلى الموارد البشرية التي تمتلكها المستعمرات من أهمها الجزائر لهذا تمثل مسألة تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي محطة هامة في تاريخ الجزائر المحتلة لما شهدته من اندفاع وطني، أدى إلى بروز البوادر الأولى للعمل السياسي .

عبرت فيه عدة أطراف جزائرية عن مواقفها من استغلال فرنسا للجزائريين في أوقاتها الحرجة، ذلك من خلال المطالبة بتعديل أوضاعهم ماديا ومعنويا مقابل ضريبة الدم. لقد أسهم الجزائريون في تحرير فرنسا في جميع حروبها التي خاضتها منذ احتلالها لبلادهم بل منهم من أجبر لخدمتها ضد إخوانه فكان جنديا يحارب المقاومات الجزائرية خلال القرن التاسع عشر ومع ذلك نسال ماذا قدمت فرنسا لهؤلاء الجزائريين الذين حرروها ونصروها،

وقد شكلت قضية التجنيد الاجباري سنة 1912 أحد اهم انشغالات طبقة النخبة الوطنية ضمن خطاباتها السياسية قبل الحرب العالمية الأولى. وكان ذلك بالتعاون مع بعض الاوربيين في إطار الاخوة الفرنسية من خلال تنسيق العمل وتحقيق المساواة واهم الشخصيات التي نشطت في هذه الفترة إسماعيل بوضربة والصحفي الصادق دندان وابن تهمي. حيث عبر هؤلاء عن استعدادهم للتضحية في سبيل فرنسا مقابل رفع قانون الأهالي ومختلف الاستثنائية.

وتم نقل هذه الآراء والمواقف ضمن مطالب الشبان الجزائريين الى باريس سنة 1912 (أبو القاسم سعد الله. 1992. ص 182) لكن ففي حالة رفض السلطات الاستعمارية لهذه المطالب فان الشبان يرفضون التجنيد الاجباري. وقد تجسد ذلك في تأسيس لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين سنة 1908. (الجمعي خمري ، 2003. ص 166) قام كل من ابت التهامي ومحمد بن رجال وغيرهم بحمل هذه المطالب التي عبر عنها الشبان الجزائريون من قبل الى باريس اين أنظم إليهم النقيب الأمير خالد الجزائري الذي دعم هذه المطالب سنة 1913. وكانت هذه الأخيرة مبنية على أرضية المطالب التي صيغت سنة 1892 (الجمعي خمري ، 2003. ص 169). واستطاعت هذه اللجنة ان تلتقي برئيس الوزراء الفرنسي جورج كليمنصو. وكان رد هذا الأخير بتقديم وعود من أهمها:

F انتخاب الجزائريين في المجالس العامة للعمال بدلا من تعيينهم.

F الدراسة الجديدة لمنح الحقوق السياسية للجزائريين

F عدم فرض ادماج غير ممكن على الجزائر (le rachidi. 1912).



لقد ركز الشباب الجزائري في خطابهم السياسي على مناهضة التجنيد الاجباري وضرورة الغائه وهذا قبل الحرب العالمية الأولى. مع وجود بعض الدعم من الاوربيين من اثال البان روزي الذي دافع عن مصالح الشباب الجزائري وتقدم بمشروع إصلاح لى لقانون الأهالي 1909 (kadache.1981.p33).

لقد استثمرت النخبة الجزائرية في خطاباتها السياسية المناهضة لقانون التجنيد الاجباري بان وجدت الفرصة مواتية للضغط على فرنسا من اجل الغاء قانون الأهالي (أبو القاسم سعد الله. 1992. ص182). كما طالبو بتطبيق المساواة بين الجزائريين والفرنسيين ووقف الضرائب الجائرة (أبو القاسم سعد الله. 1992. ص194).

لجأت الإدارة الفرنسية في ردها على مطالب النخبة الجزائرية الى المناورة والمراوغة السياسية. حيث قدم الرئيس الفرنسي تعهدا بتحقيق تلك المطالب. وفي المقابل اوعز الى الأعضاء الجزائريين في المجالس المحلية من جماعة "بني وي وي" بان يصوتوا بمعارضة تلك الإجراءات والتعبير عن ولائهم لفرنسا وان وقت الحصول على الجنسية الفرنسية لم يحن بعد. (أبو القاسم سعد الله. 1992. ص186).

وبذلك استمرت فرنسا في تعنتها وقامت بتطبيق قانون التجنيد الاجباري غير ابهة بمطالب الجزائريين. فقد وصل عدد المجندين في ماي 1914 الى حوالي 82751 مجند. و87519 متعاقد و2479 احتياطي والمجموع هو 172749 مجند مساعد (kadache.1981.p30).

ولجأت السلطات الاستعمارية الفرنسية في سبتمبر 1912 الى اصدار جملة من الترتيبات بغية امتصاص غضب الناقمين من الجزائريين على سياسة التجنيد الاجباري والذين عبروا عن مواقفهم هذه بشق الوسائل: كالاحتجاج بكتابة العرائض او الهجرة او الاختفاء. وتمثلت تلك الترتيبات الفرنسية في تحسين أوضاع المجندين من خلال:

F عدم خضوعهم لقانون الأهالي او الاحكام الاستثنائية بعد تسريحهم من الخدمة العسكرية.

F عند ارتكابهم للجرائم سيحاكمون امام محاكم القانون العام

F يمكن لهم المشاركة في انتخابات المجالس البلدية بعد لتمامهم للخدمة العسكرية وبناء على طلبهم. (الجمعي خمري، 2003. ص183).



ونجد ان معظم الشباب الجزائري قد طالب بالمواطنة الفرنسية مع الحفاظ على احوالهم الشخصية. في حين ان فئة قليلة منهم قبلت بالمواطنة مع التخلي عن الأحوال الشخصية والشرط الذي ركز عليه الاستعمار الفرنسي فتحصلت هذه الفئة الثانية على مبتغاها في حين لم يستجب للفئة الأولى وهو الامر الذي دفع الى انقسام في صفوف النخبة الوطنية الجزائرية الى قسمين سنة 1919. (احمد الخطيب، 1986، ص48).

ورغم هذا الانقسام الكبير الا ان النخبة الجزائرية بشقيها استطاعت ان تتحد في بعض المطالب السياسية ولعل أبرزها قبول التعليم بالفرنسية معتبرة انه الحل الوحيد لتحصيل العلوم بعدما حرمهم الاستعمار الفرنسي من التعليم باللغة العربية والذي حارب به بشكل كبير. (أبو القاسم سعد الله، 1992، ص109). فطالبوا بإنشاء مدارس فرنسية لأبناء الأهالي سواء كانوا ذكورا او اناثا. وشجعوا الأهالي على التعلم فكان هذا المطلب حاضرا باستمرار في الاجندة السياسية للحركة الوطنية وحتى من خلال صحافتهم كالإسلام والمصباح (احمد الخطيب، 1986، ص49)

الخاتمة:

لم يكن متاح للشباب الجزائري الحصول على وسائل العمل السياسي كالصحافة والتمثيل البرلماني و المال والتي كانت بالمقابل متوفرة لدى الكولون الا انهم استطاعوا ولوج معترك السياسة ومقارعة الاستعمار وهو الامر الذي سمح لهم بالاحتكاك بالفرنسيين والاطلاع على ابجديات العمل السياسي و النقابي. فكان ذلك حافزا لهم لأنشاء وسائل نضالية تسمح بتمرير خطاباتهم السياسية من خلال انشاء الصحافة المكتوبة بالفتين العربية والفرنسية واشاءهم للأحزاب السياسية بمختلف تياراتها ودخولهم معترك السياسة من خلال الترشح في الانتخابات المحلية.

وقد اعتبرت سنة 1908 البداية الفعلية للشباب الجزائري الذين استطاعوا التعبير عن مطالبهم في مناهضة التجنيد الاجباري ثم تطورت مطالبهم الى المساواة والتجنس مع الفرنسيين املين تحسين ظروف الجزائريين البائسة.

. قائمة المصادر والمراجع:

- تقشاشني، علي. "النخب الجزائرية وقضايا الهوية الوطنية مطلع القرن العشرين." مجلة العلوم وآفاق المعارف، المجلد 2، العدد 1، 2022، ص. 324-345. asjp.cerist.dz
- مياي، إبراهيم. "إرهاصات الحركة الوطنية الجزائرية." (1900-1914) /المصادر، المجلد 4، العدد 1، 2002، ص. 125-151. asjp.cerist.dz
- سعد الله، أبو القاسم. تاريخ الجزائر الثقافي ج 8. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992.



- قداش، محفوظ. *المرجع في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر* أو مرجع حول الحركة الوطنية الجزائرية، 1981.
- الخطيب، أحمد. مرجع حول النخبة الجزائرية والخطاب السياسي، 1986.
- خمري، الجمعي. مرجع حول الصحافة والنوادي والجمعيات والنخبة الجزائرية، 2003.
- كداش، محفوظ. مرجع حول الحركة الوطنية الجزائرية وقانون الأهالي والتجنيد، 1981.
- Poulard, Maurice. 1910.
- فكّار، بن علي. *المسألة الأهلية وتمثيل المسلمين في الهيئات المنتخبة*، 1909.
- Le Rachidi. 1912.



مجلة متيجة للدراسات الإنسانية

المجلد 9 العدد 02 الشهر 12 سنة 2022

PISSN: 2602-5639 - EISSN: 2830-8972



مجلة متيجة للدراسات الإنسانية

المجلد 9 العدد 02 الشهر 12 سنة 2022

PISSN: 2602-5639 - EISSN: 2830-8972
